Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زمنا ، بل ما ضعفت أمة بعد قوتها ، والواقع غير ذلك ، فها هى ذى الأمم الغربية نفسها وأرضها لم تتغير وجوها لم يتبدل ولكن الذى تبدل فيها أخلاق أهلها . وقد أعجب من قبل الامبراطور « جوليان » بقوة أخلاق أهل باريس وجدهم وصلابتهم وطباعهم الهادئة ، ولكن أهلها كما يقول « ڤولتير » قد أصبحوا أخف احلاما وطباعا من فراشة . ثم أين عباقرة أثينا وروما اليوم ؟ ويستمر « ڤولتير » قائلا : « كان من عادة (شيشرون) » الخطيب الرومانى ان يهزأ بالانكليز ويتنادر عليهم حتى أنه كتب مرة رسالة لأخيه (فانتوس) الذى كان ضابطا مع قيصر فى غزوته التى غزاها بانكلترا يسأله مستهزئا انكان وجد ثمةفلاسفة كبارا أو رياضيين عظاما . فهلا علم (شيشرون) أنه نشأ بعده فيها أعظم فلاسفة العالم ورياضييه ، تحت تلك السماء المظلمة بعينها . هـذه كلهـا أمثلة تدل على أن ليس للاقليم أثر يذكر فى ارتفاع الأمم وانخفاضها . »

من الواضح اذن أن الجو لا علاقة له بالتقدم والتأخر ، وأن راسمال الاسلام كبير من حيث الأرض الطيبة وعدد السكان ، ولكن الا يعبث المستعمر الأوربى بهذه الأرض الطيبة ؟ اليس من الجائز أن يستوطنها الدخيل الأجنبى ويستولى على رأس المال ويبقى المسلمون أبدا عاطلين منه ؟ هنـا يلجأ البكرى الى علوم الحياة يستعين بها فى الاجابة عن هذا التساؤل ، وهو فى حاجة الى الوقوف عنـده لأن اعراض المرض ظاهرة بجسم الأمـة الاسلامية . ويبدأ المؤلف مقررا أن الحيوان أو النبات أو الانسان لا يستطيع أن يعيش فى وسط غير مماثل لما نشأ فيه ، فلا يمكن للأسماك أن تعيش فى الصحراء ولا للناقـة أن تدوم فى المـاء ولا للنخيل أن ينبت بين الجليد وكذلك الشانبالقياس الى الانسان والحيوان . وينقل رأى « لوبون » فى كتابه (الفسيولوچيا) حيث